شرحُ دعاءٍ
جامعٍ عظيم

«رَبَّنَا أَصْلِحْ بَيْنَنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ الإِسْلَامِ،
وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،
وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،
وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا
وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ،
وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا،
قَائِلِينَ بِهَا، وَأَتْمِمْهَا عَلَيْنَا».

[صحيح الأدب المفرد]

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

-حفظه الله-

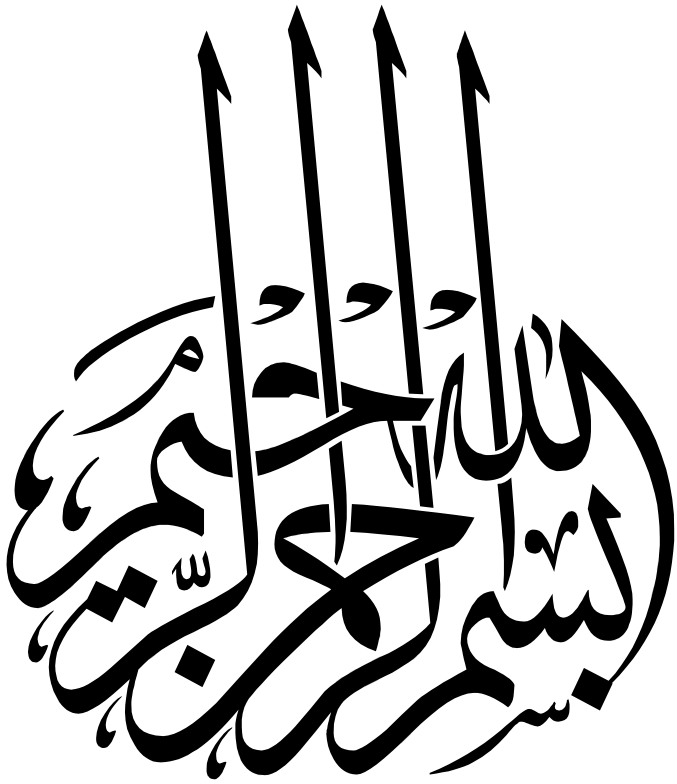
بسم الله الرحمن الرحيم

المتن: [1]

قال أمير المؤمنين في الحديث؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَـــابٌ:

(630) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَقِيقٌ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ: «**رَبَّنَا أَصْلِحْ بَيْنَنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ الإِسْلاَمِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَائِلِينَ بِهَا، وَأَتْمِمْهَا عَلَيْنَا**».

قال الإمام الألباني في صحيح الأدب المفرد (490): إسناده صحيح.

الشـرح: [2]

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الدعاء العظيم عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يُكثر أن يدعو بهؤلاء الدعوات، وهذا فيه أنّ هذه الدعوات دعواتٌ جامعة، وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكثر منها، ويعتني بالدعاء بها، وهي دعواتٌ جامعةٌ لخيْرَي الدنيا والآخرة.

---

(1) ولفظه عند أبي داود: «اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ، لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا».

والحديث أخرجه من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو داود في سننه (968)، كتاب: الصلاة، باب: التشهد. والحاكم في المستدرك (921)، كتاب: الإمامة وصلاة الجماعة، باب: التأمين، وقال: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه". وابن حبان في صحيحه (1008) كتاب: الرقائق، باب: الأدعية. والهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 182) وقال: "إسناد الكبير جيد". وأبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 118). وحسّنه السيوطي في الجامع الصغير(1482). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (1174) وضعيف أبي داود (969).

(2) من شرح الأدب المفرد/ الشريط 85.

♦ كان يقول: «**رَبَّنَا أَصْلِحْ بَيْنَنَا**»، رواه أبو داود في سننه، ولفظه: «**اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا**». وهذه دعوةٌ مباركةٌ له ولعموم المسلمين، وهي من الدعوات التي ينبغي أن يعتني بها المسلمون، ولا سيّما عندما تكثر الفتن ويكثر الخلاف والشقاق والتنافر والتهاجر والتباغض والتعادي والحسد.. وغير ذلك، إذا فشت مثل هذه الأمور فإنّ من الجميل أن يُدعى بهذه الدعوات المباركة العظيمة التي كان يُكثر من الدعاء بها عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: «**اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا**»؛ أي اجعل قلوبنا مُتآلفة؛ ليست متنافرة ولا متباغضة ولا متعادية؛ وإنما تجمعها أُلفة الإسلام، ومحبة الدّين، والتآخي في الله تبارك وتعالى.

«**وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا**»؛ أي أصلح أحوالنا وما وُجد فينا من شقاقٍ أو خلافٍ أو تنافرٍ أو تباغضٍ أو غير ذلك، «أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا» أي أصلح ما يكون بيننا وما يكون في أحوالنا من خلافٍ أو عداءٍ أو نحو ذلك، أصلح لنا ذلك وأَزِل ما بيننا من خلاف أو عدواة أو شحناء أو بغضاء.

♦ قال: «**وَاهْدِنَا سُبُلَ الإِسْلاَمِ**» ولفظه عند أبي داود: «**وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ**»؛ والمُؤدَّى واحد.

«**اهْدِنَا سُبُلَ الإِسْلاَمِ**»: أي أعمال هذا الدّين العظيمة، وطاعاته الجليلة، وقُرَبه المتنوعة التي توصل إلى الله تبارك وتعالى.

«**اهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ**»: أي الجنة، التي هي دار السلام، أو السلام من الشرور والآفات وسخط الله تبارك وتعالى وعقابه بالتوفيق للّزوم لدين الله -تبارك وتعالى- القويم.

♦ قال: «**وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**»؛ أي أخرجنا منها، وأبعدنا عن طريق الظلمات، وعن أهل الظلمات إلى النور؛ أي إلى الدّين؛ الذي هو ضياءٌ ونورٌ لأهله، قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال الله عز وجل: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠

رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

قال: «وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»؛ «مِنَ الظُّلُمَاتِ»: ظلمات الشرك، ظلمات الكفر، ظلمات النفاق، ظلمات البدع، ظلمات المعاصي، ظلمات الأهواء، نجِّنا من ذلك كله، «إِلَى النُّورِ»؛ أي نور التوحيد، ونور لا إله إلا الله، ونور الطاعة، ونور الصلاة -الصلاة نور، مَن حافظ عليها كانت له نورًا-، نور الصدقة، نور الصيام، نور الحج، نور المشي في طاعة الله عز وجل، نور القلب بضياء الإيمان، كله يتناوله قولك في هذه الدعوة: «وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ».

♦ قال: «**وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»؛ والفواحش: هي الآثام التي فَحُشت وكبُرت وساءت وغَلظت، من القول منها والفعل، الظاهر منها والباطن؛ أي المُعلَن منها والخفي، أَعِذْنا من ذلك كله واصرفنا عنه. ويتناول هذا فاحشة الزنا وغيرها من الفواحش، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، فقوله: «وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ» يتناول هذه الفاحشة و يتناول غيرها من الفواحش والآثام.

♦ قال: «**وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا**».

والبركة، وتأتي في دعاء النبي عليه الصلاة والسلام وفي الدعوات المأثورة، تأتي كثيرًا. البركة تتناول أمرين يشملهما معناها:

- الأول: ثبات وبقاء النّعمة الموجودة.
- والثاني: زيـــادتها ونمـــاؤها.

فأنتَ إذا سألتَ الله عز وجل البركة في شيءٍ ما فأنتَ تكون بذلك طلبتَ أمرين: ثبات هذا الشيء الذي طلبتَ من الله عز وجل أن يبارك فيه، ثباته وبقاءه وأيضا طلبت أمرًا آخر: زيادته ونماءه، فالبركة تتناول هذين الأمرين معًا.

قولك: «**وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا**» ؛ السمع معروف، فأنت تسأل الله عز وجل أن يبارك لك في سمعك، وهذا يتناول أمورًا عديدة؛ يتناول:

– بقاء السمع وأن تكون مُمَتَّعا به إلى أن يتوفاك الله عز وجل، وسمعك على الصحة والعافية والسلامة.

– وأيضا يتناول هذا الدعاء: أن يبارك لك في سمعك بأن لا تسمع فيه إلا ما يُرضي الله؛ لأن سماع الإنسان بسمعه ما يُسخط الله هذا ليس من البركة، بل هذا –والعياذ بالله– من الشرِّ؛ أن يُستعمل السمع في غير ما خُلق له، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، أي يسألك الله عنه يوم القيامة.

ولهذا؛ من البركة في السَّمع أن يكون صاحبه شاغلاً له بسماع ما يُرضي الله؛ يسمع به القرآن، يسمع به الدروس العلميّة، يسمع به الكلمات والمواعظ النافعة، يسمع به الأمور الخيِّرة والكلمات الطيّبة، ويبتعد عن سماع الحرام؛ سواءً الحرام من الأغاني ونحوها أو من البدع والضلالات والأهواء. وفي هذا أضرب مثالين:

– الأول: عن ابن عمر، مرَّ ﷺ في طريقه على أعرابيٍّ يرعى الأغنام ومعه زمَّارة؛ فوضع أصبعيه في أذنيه وعَدَل عن الطريق، لا يريد أن تسمع أذنه اللهو الذي حرّمه الله.

– وفيما يتعلق بالبدع: طاووس بن كيسان دخل عليه أحد المبتدعة وأراد أن يتكلم، وكان عنده ابنه إبراهيم، فلما أراد أن يتكلم صاحب البدعة أدخل طاووس أصبعيه في أذنيه والتفتَ

على ابنه إبراهيم وقال: يا إبراهيم، أدخل أصبعيك في أذنيك، فلما بدأ الرجل يتكلم التفتَ طاووس على ابنه وقال: يا إبراهيم، أُشدد! يعني أدخل أصابعك جيدًا حتى لا تسمع ولا كلمة.

الشاهد: من البركة لك في سمعك ألا يدخل معه اللهو ولا تدخل معه الأهواء، أَبْعد سمعك عن سماع الأهواء وأَبْعد سمعك عن سماع اللهو.

ولكَ في هذا فائدتان عظيمتان مهمتان للغاية فرَّط فيهما كثيرٌ من الناس:

– الأولى: عندما تعفُّ سمعك من سماع اللهو؛ فإن في ذلك حفظٌ للقلب من تحرك الفاحشة فيه والشهوة المحرّمة؛ لأن السمع إذا دخلت من خلاله آلات اللهو والأغاني ونحوها حركت في القلب الفاحشة، ولهذا قال العلماء قديمًا: "الغناء بريد الزنا"، لأنه إذا دخل مع السمع تلك الأمور التي تهيّج الحرام؛ تحرك القلب في البحث عنه ومَرِض القلب بمرض الشهوات؛ قال الله عز وجل: ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] أي مرض الشهوة، ومرض الشهوة له أسباب، ومن أعظم الأسباب: سماع الحرام.

– الجانب الآخر: عندما يتعفف الإنسان من سماع الأهواء وكلام أهل الأهواء يَسْلم له قلبه من الشبهات. الأول يسلم من الشهوات، وهذا يسلم من الشبهوات.

والشبهات خطيرة جدا على القلب؛ لأن الشبهة إذا دخلت في القلب قد لا تخرج. ولهذا؛ يُؤثر أنّ رجلاً من أهل الأهواء أتى عند عبد الله بن المبارك وأراد أن يتكلم عنده بشيء، حتى أنه قال له: أريد أن أقرأ عليك آية من كتاب الله، قال: أخرجوه عني..لا أسمع منه شيئًا! فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، إنما أراد أن يقرأ عليك آيةً من كتاب الله، فانظروا ماذا قال هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ! قال: "خشيتُ أن يطرح في قلبي شُبهةً تُجَلْجِل في قلبي حتى أموت"، "تُجَلْجِل" يعني تتردد في صدري إلى أن أموت، لا تخرج.

ولهذا؛ يجب على الإنسان أن يُعفَّ سمعه، من سماع الأهواء ومن سماع اللهو؛ حتى يَسْلم قلبه من مرض الشبهات ومن مرض الشهوات.

«بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا» بأن تبقى مُمتَّعةً إلى أن نموت، وأن تكون محفوظةً من الحرام، سالمةً من سماع الآثام، لا يسمع بها صاحبها إلا ما فيه الخير له في دينه ودنياه، فهذه بركة السمع.

قال: «**وَأَبْصَارِنَا**»؛ أي بارك لنا في أبصارنا.

والبركة في البصر: بأن يبقى العبد مُمتَّعًا به، يبقى مُمتَّعًا به إلى أن يموت، وهو يُبصر، مُمَتَّعًا بهذه الحاسّة العظيمة.

وأيضًا تشمل بركة البصر: أن يتعفَّف الإنسان من النظر إلى الحرام، فلا ينظر ببصره إلى الحرام؛ بل ينظر فيه إلى القرآن -كلام الله-، وينظر إلى كلام أهل العلم وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا خيرُ ما نظرت إليه الأبصار؛ القرآن والسُّنة. وينظر أيضًا إلى آيات الله عز وجل؛ مِن سماءٍ وجبالٍ وأشجارٍ.. وغيرها، مُتفكِّرًا مُعتَبرا. ينظر إلى طريقه ليمشي إلى المسجد، ليمشي إلى السوق، ليمشي إلى طلب رزقه وحاجاته وحاجات أولاده، ليهتدي إلى الطريق، هذا كله من بركة البصر، عندما يكون مُستَعملاً في هذه الأشياء.

أما -والعياذ بالله- من يجعل هذه النِّعمة في النظر إلى الحرام، ولا سيّما ما وُجد في زماننا هذا وابتُلي به كثيرٌ من الناس؛ يجلسون الساعات الطوال أمام القنوات الفضائية، وأمام الشبكة العنكبوتية ينظرون إلى حُثالات العالم وأوساخ الناس، وقاذورات العالم، ينظرون إليها بأبصارهم، وكأنهم لا يتذكَّرون أنّ هذا البصر نعمةُ الله عليهم (..) -نسأل الله أن يهدي الجميع وأن يبارك في أبصار الجميع وأسماعهم-، وكأنهم لا يذكرون نعمة الله عليهم بهذا البصر؛ فينظرُ غيرَ مُستحٍ من الله تبارك وتعالى إلى ما حرّم الله -عز وجل- عليه النظر إليه، فيجلس ساعاتٍ طوال ينظر إلى المحرّمات والآثام والأوساخ والقاذورات ونَتَن العالم وخسائس الناس، ويُهدر بُصره، ويُهدر حياته؛ مما يترتب عليه ظلمة قلبه، والعياذ بالله.

وقد قال الله عز وجل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠].

ولهذا؛ من بركة بَصر الإنسان أن يجاهد نفسه على حفظه. قد ينفلت منك البصر بنظرةٍ عابرة لكنك مع المقاومة والمجاهدة والاستعانة بالله تبارك وتعالى يتحقق لك -بإذن الله عز وجل- بركة البصر وحفظه.

وإياك ثم إياك ثم إياك ممّا سمّاه بعضهم في زماننا: **الخَلوة العصرية**؛ وهي الخلوة التي تكون من كثيرٍ من الشّباب والشّابّات مع القنوات الفضائية أو مع الشبكات العنكبوتية، عندما يجلس الشاب أو الشابة وحده في الغرفة ثم يلتفت ويرى الباب مغلقًا ويقول: لا أحد يراني من الناس، ثم يبدأ ينظر ويشاهد في تلك القنوات من الخسائس والقاذورات، وينسى أنَّ ربَّ العالمين مُطَّلعٌ عليْه.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِـــنْ قُــلْ عَلَيَّ رَقِيـــبُ

قُلْ: إنّ الله عز وجل رقيبٌ عليَّ، مُطَّلعٌ عليَّ، يراني، لا تخفى عليه منّي خافية، يراني ماذا أعمل بسمعي، وماذا أعمل ببصري؛ فيتقي الله جل وعلا، ويجاهد نفسه في حفظ سمعه وبصره، وفي تقوى ربه تبارك وتعالى؛ ليكون السمع مباركًا، وليكون البصر مباركًا، وليكون العبد متّقيًا لله تبارك وتعالى في سمعه وبصره.

وليَعْلم أنّ هذا السمع وهذا البصر سيسأله الله تبارك وتعالى يوم القيامة عن كلِّ ما نظر به إليه، وعن كلِّ ما استمع بسمعه إليه، كل ذلك يسأله عنه؛ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، تُسأل عن سمعك وتُسأل عن بصرك، كل ذلك يسألك الله عنهُ (...) [1].

(1) بكاء الشيخ -حفظه الله-.

قال: «وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا».

فبركة البصر تكون بذلك؛ بأن يُجاهد المسلم نفسه مُتَّقيًا ربه تبارك وتعالى محافظًا على بصره، ولا سيّما أنّ هذا الزمان الذي نعيشه زمن فتنٍ كثيرة، ولا سيّما في كثيرٍ من البلاد التي يُبتلى فيها أهل الخير، وأهل الدّين، وأهل الفضل بكثرة الفتن، حتى إنّ بعضهم لَيُقول مُتألمًا، ويذكر حاله مُتألمًا، يقول: أين أذهب ببصري؟! أين أذهب ببصري؟! إذا خرجتُ من بيتي ليس أمامي إلاَّ أفخاذٌ عارية، وصدورٌ بادية، وشعورٌ مكشوفة، وفتنٌ تعصف، وأنا شابّ! (..) [1].

اللهم يا ذا الجلام والإكرام سلِّمنا أجمعين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم واحفظ علينا أسماعنا وأبصارنا، اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا واصرف عنا الفتن يا ذا الجلال والإكرام، اللهم لا تُخزنا يوم يبعثون، اللهم لا تُخزنا يوم يبعثون، اللهم لا تخزنا يوم يبعثون، اللهم وأصلح شباب المسلمين ونساءهم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أصلحهم يا ذا الجلال والإكرام ورُدَّهم إليك ردًّا جميلا، اللهم يا حي يا قيوم نسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نعوذ بك من شرِّ أسماعنا ومن شرِّ أبصارنا وشر قلوبنا وشرِّ مَنِيِّنا -كما ثبت بذلك الدعاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم-.

قال: «وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا **وَقُلُوبِنَا**» وهنا سؤال الله تبارك وتعالى بركة القلب.

وبركة القلب هي أعظم ما يُطلب، وأجلُّ مقصدٍ يُنشَد؛ أن يسأل المسلم ربه تبارك وتعالى بركة قلبه.

وبركة القلب تكون بنقاء القلب وسلامته، وبُعده عن الشرك؛ أصوله وفروعه، وبُعده عن النفاق والغلّ والغشّ والحقد والضغائن، وغير ذلك من أمراض القلوب، وأن يكون القلب عامرًا بالحياء؛ الحياء من الله، عامرًا بالخوف؛ الخوف من الله، عامرًا بالرجاء؛ رجاء الله تبارك

(1) بكاء الشيخ -حفظه الله-.

وتعالى، عامرًا بالتوكل على الله، الثقة بالله، الصدق مع الله، حسن الالتجاء إلى الله.. كل ذلك من بركة القلب.

قال: «وَقُلُوبِنَا» أي اجعل قلوبنا قلوبًا مباركة؛ بأن تكون قلوبًا مُخلِصة، قلوبًا نقيَّة، قلوبًا صادقة، قلوبًا متوكّلةً على الله تبارك وتعالى، قلوبًا راجية لما عند الله، خائفةً من الله سبحانه وتعالى، كل ذلك من بركة القلب.

والقلب إذا كان مباركًا صالحًا نقيًّا طيّبًا؛ فالجوارح كلُّها تَبَعٌ له، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ألا وَإِنَّ في الجسد مُضغضةً إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدت فَسَد الجسدُ كُلُّه ألا وهي: القَلب»[1].

فهذه دعوةٌ مباركة فيها سؤال الله عز وجل بركة القلب؛ بأن يكون محفوظًا بالاستقامة على الدِّين، بعيدًا عن الفتن والشرور والفساد.

قال: «**وَأَزْوَاجِنَا**»؛ أي وبارك لنا في أزواجنا. وبركة الزوجة بأن تكون مطيعةً لله تبارك وتعالى، وأن تكون محافِظةً على أوامر الله عز وجل، مُنْتهيةً عن نهيه. أن تكون بعيدةً عن التبرج والسفور، فهذا من بركة المرأة وبركة الزوجة؛ ألاّ تكون متبرِّجة ولا تكون سافرة ولا تكون مهمَّتها في المجتمع فَتْن الناس وتحريك الشهوات في قلوب الشباب وغيرهم.

من بركة الزوجة: أن تكون حافظةً لفراش زوجها، وأن تكون حافظةً لمال زوجها، وأن تكون حافظةً لبيت زوجها، كل ذلك من بركة الزوجة.

ومن بركة الزوجة: أن تكون ودودًا ولودًا، مُواتيةً مواسية، وأن تكون أيضا مع زوجها: إذا نظر إليها سرَّته، وإذا غاب حفظته في نفسها وماله وبيته.

---

(1) أخرجه البخاري (52) في كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه. ومسلم (1599) في كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات. من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فهذا كله من بركة الزوجة، ولهذا؛ مما ينبغي أن يجتهد المرءُ فيه بالدعاء أن يسأل الله عز وجل بركة زوجه.

قال: «وَبَارِكْ لَنَا فِي أَزْوَاجِنَا» وبارك لنا في أزواجنا بأن يكون أهل الإنسان مبارَكِين، محفوظين بحفظ الله تبارك وتعالى، بعيدين عن الانحلال والانحراف، قائمين بطاعة الله عز وجل، ممتثلين بأمره عز وجل.

قال: «وَبَارِكْ لَنَا فِي أَزْوَاجِنَا».

وكما قدَّمت، سؤال الله عز وجل البركة في الزوجة يتطلب من الزوج أن يُحقِّق القوامة؛ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] أن يُحقق القوامة: بحفظ زوجته ومنعها من الآثام وإبعادها عن الحرام، ومنعها من التبرج والسفور والخروج متعطرةً متطيبة، فإذا قال: «وَبَارِكْ لَنَا فِي أَزْوَاجِنَا» يجتهد في الوقت نفسه على تحقيق القوامة؛ بمنع زوجته وتوجيهها وإرشادها ودلالتها على الخير.

قال: «وَبَارِكْ لَنَا فِي أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا».

«**وَذُرِّيَّاتِنَا**»؛ وهذا فيه صلاح الأولاد ودعاء الله عز وجل الدعاء في الأولاد وأن يكون أولاد الإنسان قرّة عينٍ له، قال عز وجل: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] والزوجة والولد لا يكونون مباركين إلا إذا كانوا على الطاعة والاستقامة وعلى المحافظة على طاعة الله عز وجل والبعد عن الضياع والفساد والانحراف.

قال: «وَذُرِّيَّاتِنَا»؛ أي: احفظ لنا ذرياتنا واجعلهم صالحين، بعيدين عن الفتن، بعيدين عن أهل الشرِّ والفساد.

♦ قال: «**وَتُبْ عَلَيْنَا**»؛ وكم هو جميلٌ ختم هذا الدعاء بهذه الدعوة؛ لأنك عندما تتأمل وأنتَ تدعو بهذه الدعوات: بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وأزواجنا وذرياتنا، أصلح ذات بيننا...إلخ إذا تأملتَ في هذه الدعوات ودقّقت النظر في حالك معها تجد أنّ عندك تقصيرا، قصَّرت في سابق زمانك؛ في سمعك، في بصرك، في أهل بيتك، في تربية أولادك، في الأمور التي يتحقق بها صلاح ذات البين، في مجتمعك، ربما وقع منك مخالفات، أخطاء.. فكم هو جميل أن تُختَم هذه الدعوة بقوله: «وَتُبْ عَلَيْنَا». لأننا ولا بد قد حصل منا تقصير؛ في السمع في البصر، في القلب، في كل المجالات حصل منا تقصير، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «كلُّ بني آدم خطَّاء» [1]، فإذا سألتَ الله البركة لا يأتيك الشيطان -هنا- أو نفسك الأمّارة بالسوء وتقول: أنت تدعو بهذا الدعاء وأنت الذي فعلتَ بسمعك كذا، وأنت الذي أبصرتَ بعينك كذا، وأنت الذي كذا، وأنت الذي كذا؟! فكأنه يقول لك: أنتَ لست من أهل البركة، فيحاول أن يصرفك عن مثل هذا الدعاء المبارك.

والحق أنّ هذه الدعوة لكل مسلم ولكل مُقصِّر، اُدع الله عز وجل، سَل الله عز وجل، ولا تتعاظم أمرًا تسأله رب العالمين، سَل الله عز وجل ولا تتعاظم أمرا؛ لا من أمور الدنيا ولا من أمور الدين فإنّ المسئول كريمٌ -سبحانه وتعالى- وجواد، ولا يتعاظمه أمرٌ أن يُسْأله، ولا حاجة، لا يتعاظمه سبحانه وتعالى أمر.

ولهذا؛ اِسأل وأنتَ واثقٌ بالله، عظيمَ الرجاء به تبارك وتعالى، وإذا تذكرتَ آثامك وأخطاءك وتقصيرك في سمعك، في بصرك.. إلخ فتذكر في هذا المقام أنّ الله عز وجل توّاب،

(1) أخرجه الترمذي في سننه (2499) كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه. وابن ماجه في سننه (4251) كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة. والحاكم في المستدرك (7691) كتاب: التوبة والإنابة، وقال: "هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه". من حديث أنس رضي الله عنه. والحديث حسّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3139)، وفي صحيح الجامع (4391).

وأنّ التوبة تجُبُّ ما قبلها، وتهدم ما قبلها، والله لو كانت الذنوب أمثال الجبال وإن كان ما وقع منك في سمعك أمثال الجبال وفي بصرك أمثال الجبال تُبْ إلى الله جل وعلا يتوب إليك مهما كان الذنب ومهما عظم الجرم، والله جل وعلا يقول: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره، ولا حاجةٌ أن يُسألها -تبارك وتعالى- أن يُعطيها، وهو القائل جل وعلا في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» [1].

ولهذا؛ أخطاء الإنسان الكثيرة التي مضت في سالف أيامه وماضي حياته؛ في سمعه، في بصره، في قلبه، في يده، في جوارحه، في جميع أعضاء بدنه كلها تذهب -بإذن الله تبارك وتعالى- بالتوبة النَّصُوح، قال جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ولهذا؛ خَتْم هذا الدعاء المبارك بقوله: «وَتُبْ عَلَيْنَا»، من جميل ما يكون في ختم الدعاء.

♦ ثم توَّج ذلك كله بالتوسل إلى الله عز وجل بهذين الاسمين العظيمين؛ قال: «**إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**».

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (3540) كتاب: الدعوات، باب: خلق الله مائة رحمة، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (3540). وأخرجه أحمد في مسند الأنصار رضي الله عنهم (20499) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

"التواب" عرفنا معناه، وأنّ توبة الله على عبده توبتان:

- توبةٌ قبل توبة العبد: بتوفيق العبد للتوبة.
- وتوبةٌ بعد توبة العبد: بقبول توبته منه.

قال: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» أي الذي وَسِعت رحمتك كل شيء وخصَّصت المؤمنين بأنك بهم رحيما، وهذا أمرٌ اختصَّ الله تبارك وتعالى به عباده المؤمنين؛ فأثمر لهم تثبيتهم على الإيمان وأثمر لهم أيضا فوزهم يوم القيامة برضا الله ودخول الجنان.

♦ قال: «**وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ**» أي اجعلنا من أهل شكر النعمة، وقوله -هنا-: «نِعْمَتِكَ» النعمة هنا مفرد مضاف؛ فيعُمُّ كل نعمة، فقولك: «وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ»؛ أي اجعلنا شاكرين لنعمك علينا كلها، القديمة منها والحديثة؛ نعمة الإسلام، ونعمة القرآن، ونعمة السُّنة، ونعمة المعافاة، ونعمة الولد، ونعمة المال، ونعمة الصحة.. إلى غير ذلك من النِّعم، كل ذلك يشمله قوله: «وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ».

♦ «**مُثْنِينَ بِهَا**، قَائِلِينَ بِهَا»؛ مُثْنين بِهَا عليك بأن نحمدك عليها، ونثني عليك بأنك أنعمت وتفضلت وأوسعت العطاء وأجزلت المنّ، مُثْنين عليك؛ أي حامدين، شاكرين، مُقرِّين، مُعترفين بالفضل والإنعام والعطاء. قال: «شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا» والله يحب من عباده أن يثنوا عليه وأن يحمدوه تبارك وتعالى، وفي الحديث: «إنّ الله ليَرْضى عن العبد أنْ يأكل الأَكْلة فيَحمده عليها، أو يَشرَب الشَّرْبَة فيَحْمده عليها» [1].

«**قَائِلِينَ بِهَا**»؛ أي متحدّثين بهذه النعمة، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١] فيتحدث الإنسان بنعمة الله عليه، وتمتيعه له -جل وعلا-، ومنِّه عليه بالإسلام، منِّه عليه بالمال، منِّه عليه بالصحة.

---

(1) أخرجه مسلم (2734) في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب. من حديث أنس رضي الله عنه.

♦ قال: «قَائِلِينَ بِهَا، **وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا**»؛ أي أتمّ النعمة علينا. «أَتِمَّهَا عَلَيْنَا» أي بحفظها وبقائها ودوامها وسلامتها من الآفات، وأيضا حفظ الإسلام، وهو أعظم النِّعم، بالثبات عليه والاستقامة عليه والممات عليه، والفوز بعالي الدرجات ورفيعها، وتمام النعمة وكمال المنّة بدخول الجنة يوم القيامة، وهذا يتناوله قولك هنا: «وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا».

«أَتِمَّهَا عَلَيْنَا» بحفظها في الدنيا وإبقائها سالمةً محفوظة مباركة طيبة، واحفظ لنا ديننا والدين هو أعظم النعم وأتمها، «وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا» بأن يُتوَّج هذا التمام بدخول الجنة يوم القيامة دار السلام. كل ذلك يتناوله قوله: «وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا».

فهذه دعوةٌ عظيمةٌ مباركةٌ جليلةُ القَدْرِ، كان يدعو بها هذا الصحابيُّ الجليلُ عبد الله بن مسعود؛ فكم هو جميلٌ بنا أن نحافظ على هذه الدعوة وأن نعتني بها وأن نكثر منها.

وأعيدها مرةً وثانيةً وثالثة؛: يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَائِلِينَ بِهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا» [1].

ويمكن أيضا -من باب التعاون على البرِّ والتقوى-، يمكن لبعض طلبة العلم أن يكتبوا هذا الدعاء في ورقة ويهديها لمن حوله -لمن شاء- من الزوّار والمعتمرين.

كتب الله -عز وجل- الأجر والتوفيق للجميع.

(1) أعادها الشيخ -حفظه الله- ثلاث مرات.